الهون والرومان الشرقيون

خلال النصف الاول من القرن الخامس الميلادي

دكتور / احمد عبد الكريم سليمان

استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية التربية بالفيوم – جامعة القاهرة

الهون والرومان الشرقيون

خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادى

بدأ هجوم الهون علي الأراضي الرومانية قبل معركة ادرنة التى وقعت بين القوط والرومان سنة ٣٧٨م بقليل (١) ، فاقتحم الهون منطقة بانونيا سنة ٣٧٧م ، ثم ازدادت هجماتهم بعد سنة ٣٧٨م على ولايات البلقان مما اضطر الامبراطور ثيودوسيوس الكبير الى محاربتهم وانزال الهزيمة بهم وبحلفائهم من الالان Alans والقوط . واستفاد الامبراطور ثيودوسيوس من الهون ايضا فاستخدم جماعات منهم في حربه ضد المغتصب مكسيموس Maximus سنة ٣٨٨م . ويرجع انتصار ثيودوسيوس السريع الى خيالة الهون العاملة في جيشه ، فهى التي اوقعت الخسائر الضخمة بجيش العدو الهارب (٢) .

وعاد الهون لمهاجمة اراضى الامبراطورية الشرقية عام ٣٩٥م حيث انتهزوا فرص تجمد نهر الدانوب وعبروا الى تراقيا فعاثوا فيها الفساد كما اصبحت دالماشيا ايضا مهددة بالغزو . وهاجمت جماعات اخرى من الهون ارمينيا حتى منطقة ملطية Meitene والمناطق الغنية من الامبراطورية

---

(١) للمزيد من المعلومات عن معركة ادرنة وعن اصل الهون وظهورهم انظر :

Ammianus Marcellinus, The Huns; Jordanes, the visigothic conquests, in the medieval world 300 - 1300, Second edition, edited by Norman F. cantar, N. 13, pp. 68 - 70, N. 14, pp. 70 - 73;

د. احمد عبد الكريم سليمان : (١) معركة ادرنة بين القوط والرومان فى ضوء وثائق المؤرخ العسكري اميانوس مارسللينوس ، دار النهضة العربية سنة ١٩٩٠م .

(٢) الصراع الدولي فى الغرب الاوربى فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، مجلة المؤرخ المصرى ، عدد يناير ١٩٩٤م ص ٢٢٤ ومابعدها (كلية الآداب ، جامعة القاهرة) .

(2) Thompson, A history of Attila and the Huns, oxford 1943, reprinted 1975, pp. 25 - 26, 31 - 34; F. Lot, The end of the ancient world and the beginnings of the middle ages, pp. 194 - 196, London 1968.

الشرقية . وامتد التخريب ايضا الى كبادوكيا . كما اجتاح الهون منطقة الفرات وبعض مناطق سوريا واصبحت انطاكية مهددة . وتكرر الهجوم ايضا سنة ٣٩٨م ، فاضطرت الحكومة الرومانية الشرقية الي الاستعانة بالقوط لمقاومة الهون لان الجيوش الرومانية كانت عند وفاة ثيودوسيوس فى الغرب ولم تصل بعد الي الشرق . وأخيرا عقدت معاهدة بين الجانبين الهونى والرومانى أواخر عام ٣٩٨م (١) .

وبمقتضي معاهدة سنة ٣٩٨م بين الرومان الشرقيين والهون قدم اولديس Auldis ملك الهون المساعدة في هزيمة الثائر الجرماني جياناس Gainas الذي عبر الدانوب سنة ٤٠٠م وهدد الاراضى الرومانية . والواقع ان اولديس قام بذلك العمل لسببين : الاول وهو انه لا يرغب في رؤية جيش بربري آخر يتجول شمال الدانوب ، والثاني هو تقديم خدمة الي الرومان الشرقيين بارسال رأس الثائر جياناس Gainas الي القسطنطينية في يناير سنة ٤٠١م وقد تسلم اولديس مكافأته ، فحصل علي مجموعة من الهدايا ، كما جدد معاهدة التحالف مع الحكومة الرومانية الشرقية ، وتضمنت المعاهدة الجديدة سداد أموال سنوية للهون (٢) .

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 26 - 28.

(2) Thompson, op. cit., pp.31 - 32.

ولا يعود الفضل في هزيمة جياناس كلية الي الهون ، فتوقعا لوصول جياناس اسرع المواطنون في تراقيا باصلاح وسائل الدفاع عن مدنهم ، كما احتشدوا هم انفسهم حاملين اسلحتهم . ونتيجة للغارات السابقة فانهم كانوا علي دراية بالحرب ، فلم يجد جياناس خارج الاسوار سوى الحشائش لانهم نقلوا كل شيء الى داخل المدن ، ومن الواضح ان حوادث عام ٣٩٥م قد علمت سكان تراقيا درسا لم يتقاعسوا عن فهمه ولم ينسوه بسرعة ، وقد تكرر ذلك المشهد فيما بعد عندما هزمت فرق اتيلا علي يد مواطنى ازيموس Asemos انظر : *Thompson, op. cit., pp. 32 - 33.*

وعن ثورة جياناس انظر : د. الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ص ٤٤ ، دار النهضة العربية ١٩٨٢م .

وازدادت خطورة الهـــون في السنوات الاولي من القــرن الخـــامس الميلادى ،، واخذوا يبحثون لهم عن موضع قدم داخل اراضى الامبراطورية الرومـانيـة بأى ثمن سـواء بالتـحـالف ام بشن الهـجـمات واحـتـلال الاراضى بالقــوة ، وهكذا نري جـمـاعات من الهون تضـغط من المناطق التى احتلتها شمال البلقان علي العناصر الجرمانية الاخري مثل الوندال والالان والسويفى حتى اضطرت تلك العناصر الى الاتجاه الي الغرب الاوربى ، هذا في الوقت الذى نرى فيه الهون اتباع اولديس يشتركون مع ستيلكو قائد القوات الغربية في هزيمة راداجـايسـوس Radagaisus قائد العناصـر الجرمـانية في معركة فاسولاى Fasulae اوائل عـام ٤٠٦م . وكان لفرسـان الهون الدور الكبيـر في احراز النصر ، كما حازوا علي عدد كبير من الاسري (١) .

وهاجم الـهون في عام ٤٠٨م بقيـادة اولديس أو اولدين Auldin ولايات الدانوب الادني فى اراضي الامبراطورية الشرقية واستولوا علي قلعة كاسترا مارتيس Castra Matis (وهـي كـولا الحـديثـة في بلـغـاريـا الواقـعـة فـي ولاية مويسيا) وقد استولي اولديس علي الحصن بطريق الخيانة ثم اجتاح اولديس تراقيا ورفض الاموال التي عرضها عليه القائد الروماني المحلى قائلا ان فى وسعه اخضـاع كل البلاد التى تشرق عليها الشمس ، ثم طلب مبلغا كبيرا يصـعب سـداده ثمنا للسـلام ، فـاضطر القـائد الرومـاني لرشـوة بعض اتبـاع اولديس حتى تخلوا عن سيدهم كما تخلت عنه ايضا جماعات السكرى Sciri التي كـانت تعـمل تحت قـيـادته ، فـوقـعت الهزيمة فى صـفـوفـه ، وتمكن من

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 28, 32 - 33; Bury, History of the later Roman Empire from the death of theodosius I to the death of Justinian, New York 1958, Vol. I, pp. 212 - 213, 271.

الانسحاب بصعوبة بالغة واسر كثير من اتباعه ، فتم توزيعهم كرقيق علي ملاك الاراضي في آسيا الصغري (١) .

واذا كان الهون في اوائل القرن الخامس اعداء للامبراطورية الرومانية بقسميها الغربي والشرقي الا ان جماعات من هؤلاء الهون دخلت في خدمة الرومان الشرقيين والغربيين على السواء ، ولم تكن خدماتهم كمرتزقة في الجيوش الرومانية دون تأثير ملحوظ . كذلك استخدمت بعض الشخصيات الكبيرة فى الحكومة الرومانية جماعات من الهون للحراسة الشخصية ، مثال ذلك الوالى البرايتورى روفينوس Rufinus في عهد الامبراطور الشرقي اركاديوس Arcadius ويقال بأن روفينوس الذي كان منافسا خطيرا للقائد الغربي ستيلكو عمل على تشكيل جيش خاص له من الهون . وعندما اراد خصوم روفينوس القضاء عليه هاجموا اتباعه من الهون وذبحوهم وهم نائمون (٢) .

ونتيجة لهجوم الهون السابق اتخذت حكومة الامبراطورية الرومانية الشرقية الاجراءات الضرورية لاصلاح وترميم الولايات التى عاث فيها الهون فسادا ، كما اعيد بناء الاسطول ، واستغرق تنفيذ ذلك المشروع سبع سنوات . وقد زود الاسطول بمائتي سفينة محاربة واخرى للتموين حتي اصبح جاهزا لحراسة الدانوب ، كما استقرت اعداد منه فى ولايات موئيسيا وسكيثيا المجاورتين للنهر الكبير . ويضاف الي ذلك فقد تم تحسين وسائل الدفاع عن العاصمة القسطنطنية ببناء اسوار جديدة لها سنة ٤١٣م ، وهى اول اسوار

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 29, 32 - 33; Bury, op. cit, pp. 212 - 213, 271.

(2) Thompson, op. cit., pp. 35.

تبنى بعد تلك التى بنيت في عصر قسطنطين الكبير (١) .

ولكي تتجنب الحكومة الرومانية الشرقية عداء الهون فقد اقدمت في عام ٤١٢م علي ارسال سفارة بقصد التعرف علي حكامهم ومحاولة احتوائهم ، وتشير احدى شذرات اوليمبودوروس الطيبى المصري Olympiodorus الى قيامه على رأس سفارة من القسطنطينية الى هؤلاء البرابرة ، وانه ابحر شمالا عبر البحر الاسود . وقد ضلت السفارة في بداية الرحلة طريقها بسبب العواصف ولكنها وصلت اخيرا الي ملك الهون المسمي دوناتوس Donatus الذى كان نفوذه واسعا وذائع الصيت بدرجة اعلى من اولديس Auldis . وقد نجح السفير الروماني في مهمته ، وبعد تبادل حلف اليمين بالصداقة بين الجانبين استطاعت السفارة قتل ملك الهون عن طريق الرشوة . وقد جاء بعد دوناتوس فى حكم الهون كاراتو Charato . وبطبيعة الحال كانت له اسبابه فى ابداء العداء والكراهية لاعضاء السفارة الرومانية ، لكن الرومان الشرقيين كانوا قد احتاطوا للأمر ، فأسرع اعضاء السفارة بتقديم الهدايا الثمينة باسم الامبراطور ثيودوسيوس الثانى مما اغرى الملك البربرى علي البقاء في سلام مع الرومان (٢) .

ويكتنف الغموض نشاط الهون بعد هزيمة اولديس Auldis ولايعرف سوى معلومات قليلة عن قيام الهون بهجوم فاشل علي بلاد فارس في الفترة من سنتى ٤١٥ – ٤٢٢م مستغلين حالة الحرب بين الفرس والرومان بسبب

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 29 - 30; Bury, op. cit, Vol. I, pp. 212 - 213,

ج . م . هسى ، العالم البيزنطي ، ترجمة د. رأفت عبد الحميد ص ١٠٠ – ١٠١ ، دار المعارف ١٩٨٤ الطبعة الثانية .

(2) Thompson, op. cit., p. 8, 34.

اضطهاد القرس للمسيحيين ، ورفض فارس سداد قيمة البضائع التي حصلت عليها من التجار للرومان ، ثم قام الهون بشن هجمات علي تراقيا ، وتلى ذلك عقد معاهدة يدفع بمقتضاها الرومان الشرقيون مبلغ ٣٠٠ ليبرا ذهبية سنويا الي الهون . ويبدو أن الهجمات علي اراضى الامبراطورية الرومانية الشرقية قد توقفت بعد سنة ٤٢٢م حتى ظهور روا أو روجيلاس ملكا على الهون (١) .

وفى العشرينات من القرن الخامس الميلادى تسلم روا Rua أو روجيلاس Rugilas القيادة العسكرية للهون بمشاركة اخويه منديوك او منديوش Mundiuch ، اوكتار Octar ويبدو ان كل زعيم منهم كان يسيطر على جزء من الاراضى الخاضعة للهون . ومعلوماتنا محدودة عن والد روا واخوته واسلافهم ، ولا نعرف على وجه الدقة كيف جاء هؤلاء الى السلطة في بلاد الهون وكل ما هو متوفر حاليا من معلومات هو ان اوكتار ومنديوش قد ماتا قبل اخيهما روا بعدة سنوات ، فقد كان روا هو القائد العسكرى الوحيد عندما ظهر اسمه لأول مرة فى التاريخ عام ٤٣٢م (٢) ، وكان يحكم القبائل التى تسكن مناطق سهول الهنغاريا (المجر) وان بعض قبائل السلاف والجرمان والسارماشيين قد دخلوا تحت طاعته ، وقد دفعت له حكومة الامبراطورية الشرقية جزية سنوية (٣) .

---

(١) د. السيد الباز العرينى ، مرجع سابق ص ٤٨ ؛

A. H. M. Jones, The decline of the ancient world, p. 78;

Thompson, op. cit., p. 31.

(2) Thompson, op. cit., p. 63; Bury, op. cit, Vol. I. pp. 271 - 272.

(3) Cambridge Medie Val History, Vol. I, p. 360, Bury, op. cit, Vol. I., p. 271.

وفي الوقت الذى نعمت فيه الامبراطورية الغربية بعلاقات سلمية مع الهون بل واستخدمتهم في كسر حدة الشعوب الجرمانية مثل البرجنديين والجيبداى والقوط مستفيدة من الصداقة التى نشأت بين أيتيوس Aetius قائد عام القوات الرومانية الغربية وروا ملك الهون (١) ، في ذلك الوقت سلك الهون مسلكا عدائيا واضحا تجاه الامبراطورية الشرقية ، واستغلوا فترات الضعف التى تمر بها وابتزازها بمطالب متعنتة او شن الحرب عليها . لقد استغل روا ملك الهون انشغال قوات الامبراطورية الشرقية بقيادة اسبار Aspar في الحرب ضد الوندال فى شمال افريقيا ، وبالتالى خلو جبهة الدانوب من القوات الرومانية الشرقية التى تكفي للدفاع عنها . وهكذا ظهر اسلا Esla سفير روا الي القسطنطينية اوائل عام ٤٣٤م بمطالب متعنتة ، منها أن يعيد الرومان الهون الهاربين ، والا فأن ملك الهون سيعلن الحرب (٢) .

ولم تكن حكومة الامبراطورية الرومانية الشرقية مستعدة للحرب بسبب الظروف التي ذكرناها ، لذلك لجأت الي الدبلوماسية ، وهى السلاح الذي طالما نجحت الامبراطورية الرومانية الشرقية في استغلاله وقت الشدة والخطر المحدق بها وقد أرسلت القسطنطينية سفارة من أجل تهدئة غضب روا ، وتشكل وفد المفاوضات الروماني برئاسة القائد بلينثا Plintha وهو من أصل قوطي ، وكان اقوى رجل فى بلاط ثيودوسيوس الثاني في تلك الفترة وقبل

---

(1) camb. Med. Hist, Vol I, p. 360, Thompson, op. cit, pp. 64 - 65; Bury, op. cit, Vol. I, p. 272.

(2) Thompson, op. cit, pp. 70 - 71, Jones, op. cit, p. 80.

وكان هؤلاء الهاربون من الهون الذين رفضوا الاعتراف بسيادة روا او الدخول تحت طاعته ، رفضوا البقاء تحت رئاسة رؤسائهم المحليين واندمجوا ضمن الجيش الامبراطورى ومن هؤلاء قبائل : الاميلزوري *Amilzuri* الاتمارى *Itimari* التنسور *Tunsures* البوسكى *Boisci* انظر : *Thompson, op. cit. p. 71.*

أن تبدأ السفارة مهمتها جاءت الاخبار بوفاة روا ملك الهون فى ابريل – مايو سنة ٤٣٤م . وقد احس الرومان الشرقيون براحة كبيرة لموت الزعيم الهونى ، وادى البطريرك بروكلوس Proclus ٤٣٤ – ٤٤٧م صلاة شكر بعد سماعه الخبر ، وانتشرت شائعات عن انه موت روا كان نبوءة جاءت في سفر حزقيال ، وان الرب قد انتم منه ، وفي ذلك دلالة علي مدي الرعب الذى كان يسود الرومان الشرقيين من ملك الهون (١) .

ولم تتم فرحة الشعب الروماني بوفاة روا Rua ، فقد خلفه اثنان من أبناء اخيه منديوك Mundiuch هما بليدا واتيلا Bleda & Attila ولم يلعب بليدا دورا مهما في تاريخ الهون ، فقبض أتيلا علي زمام الأمور كلها وشكل خطورة كبيرة علي الامبراطوريتين الشرقية والغربية علي السواء ، وقررت السلطات الرومانية الشرقية سبر غور الحاكمين الجديدين في بلاد الهون ، فتقرر سفر بلنثا Plintha ومعه ابيجينيس Epigenes الذى كان متكلما مشهورا . ووصل الوفد الروماني الى مدينة مارجوس Margus الشهيرة في موئيسيا العليا ، وهى مدينة تجارية مهمة ، ولعبت اسقفيتها دورا مهما فى لحرب بين الهون والرومان (٢) .

وقابل بليدا Bleda واتيلا السفارة الرومانية ، ودارت المفاوضات وهم على ظهور الخيل كعادة الهون ، وعقدت في نهاية الامر معاهدة بين الجانبين سنة ٤٣٥م عرفت باسم معاهدة مارجوس ، وقد نصت علي مضاعفة الجزية السنوية التي يدفعها الرومان الشرقيون لتصبح ٧٠٠ ليبرا ذهبية ، وكانت فى

---

(1) Thompson, op. cit, pp. 71 - 73.

(2) Camb. Med. Hist., Vol. I, p. 360; Thompson, op. cit, pp. 72 - 74; Bury, op. cit, Vol. I, p. 272.

عهد روا ٣٥٠ ليبرا ذهبية ، وعدم قبول الرومان الهون الفارين من حكامهم مع تسليم الذين هربوا من قبل ، ودفع فدية للاسرى الرومان بواقع ٨ سوليدا Solidi عن كل اسير رومانى . واشار بليدا واتيلا الي معاهدة قديمة مع روا وافق بمقتضاها الرومان في تاريخ غير معروف علي منح الهون حقوقا تجارية في بعض أسواق المدن الرومانية ، وقد اعيد تأكيد هذه الحقوق ، فأصبح من حق التجار الهون ان يتاجروا بنفس المزايا التي يتمتع بها التجار الرومان . ومن الواضح ان شروط هذه الاتفاقية كانت جميعها في صالح الهون لاسيما الشرط الذى نص علي عدم قبول لاجئين هون من امبراطورية اتيلا ، فالهدف من ذلك كان اضعاف الجيش الرومانى لان الفرق الرومانية العاملة بجوار نهر الدانوب كانت تزود بكثير من البرابرة الهون وغيرهم (١) .

وقضى اتيلا السنوات القليلة بعد عقد معاهدة مارجوس سنة ٤٣٥م فى اخضاع بعض الشعوب المجاورة له مثل شعوب سكيثيا Scythia وسوروجى Sorogi ، فكل الشعوب الواقعة بين الالب والبحر البلطى من ناحية ، وبين بحر الخزر Cospion Sea او الى الغرب منه بقليل وبين خط لا يعرف شرقي الراين اعترفت باتيلا وبليدا حاكمين لهم . وفي سنة ٤٤٠م ظهرت لاتيلا فرصة جديدة لتهديد الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وفي تلك السنة اشتركت جيوش تلك الإمبراطورية في عمليات عسكرية منظمة في شمال افريقيا بعد ان سقطت قرطاجة في يد الوندال في اكتوبر سنة ٤٣٩م ، كما احتل

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 73 - 75; Bury, op. cit, Vol, I, p. 273; Jones, op. cit; p. 80, Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 362.

وعن عادات الهون ونظمهم العسكرية انظر : د. اسحاق عبيد ، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ١١٢ .

والـ *Libra* ليبرا كما جاءت في المورد وحدة وزن رومانية قديمة تعادل ٣٢٧٫٤٥ جرام .

المهاجمون الوندال رودس بهدف اعاقة طريق القمح من مصر الي القسطنطينية التي باتت هي الأخري مهددة من الاسطول الوندالى المرابط في قرطاجة بل وانتشرت شائعات بأن جيسريك ينوي مهاجمة مصر أيضا . والواقع ان فقدان شمال افريقيا كان كارثة ضخمة للشرق والغرب على السواء واصبح ماعداها من أحداث في مكان ثانوى . وكان اتيلا فى ذلك الوقت صديقا لجابزويك ملك الوندال بعد ان جمعتهما المصالح المشتركة في عداوة القوط في الغرب الاوربى من ناحية والرومان الشرقيين من ناحية اخري . هذا في الوقت الذي جاءت الاخبار بأن جيشا فارسيا تحت قيادة يزدجرد الثاني ٤٣٨ – ٤٥٣م قد شن هجوما على ارمينيا . ومع ان القوات الفارسية قد انسحبت بسرعة بعد ان هددت مؤخرتها هجمات الهون البيض الا ان الامبراطور ثيودوسيوس الثانى اضطر الى نشر قوات رومانية ضخمة لمواجهة الفرس ، وقد جاء الحشد العسكري علي حساب جبهة الدانوب في الشمال ، فخلت من المدافعين عنها بعد ان سحبت منها معظم الفرق العسكرية(١) .

ولم يعدم اتيلا الحجة او التبرير لعدوانه ، فاشتكى ان الجزية لم تسدد بانتظام ، وان اللاجئين الهون لم يسلموا اليه . ولما لم تهتم الحكومة الرومانية الشرقية بشكواه ظهر اتيلا علي الدانوب عام ٤٤١م وحاصر حصن راشيريا Ratairia وكان ذلك الحصن يقع ضمن المناطق التى يحق للهون فيها المتاجرة وفقا للمعاهدة السابقة بين روا (أو روجيلاس) والامبراطورية الرومانية الشرقية . وقد تمكن الهون من القضاء علي القوات الرومانية التى كانت في

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 74 - 75, 76 - 79; Bury, op. cit, Vol, I, p. 273; Jones, op. cit; p. 80, Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 362.

الحصن كما ذبحوا كثيرا من التجار الرومان . وقد احتج الرومان علي عملية احتلال الهون لحصن راشيرا وخرق معاهدة مارجوس التي تنص علي حرية التجارة وتأمينها لكلا الطرفين ، ولكن الهون اظهروا مزيدا من النوايا السيئة عندما اشتكوا بأن اسقف مدينة مارجوس – التى عقدت المعاهدة خارج أسوارها سنة ٤٣٥م بحضور بلنتا Plintha قد عبر الدانوب الي اراضي الهون وسرق مقابر الهون الملكية التى تقع علي الشاطىء الآخر للنهر ، كما استولي علي الكنوز المدفونة مع ملوك الهون ، فقدم الاسقف بذلك للهون المبرر الكافى لأعمالهم العسكرية وقد طلب أتيلا تسليم الاسقف فورا ، وكذلك الهون الهاربين ، ولم يستطع السفراء الرومان سوى تقديم انكار هزيل للاتهامات التي وجهها الهون لهم ، فاستأنف اتيلا عملياته العسكرية ضد الامبراطورية الرومانية الشرقية (١) .

وعبر الهون الدانوب للاستيلاء علي المدن الكبري علي شواطئه الجنوبية وتخريبها ، فسقطت مدينة فيميناكيوم Viminacium وهى كوستولاكى Kostolacz وقد كان سقوط هذه المدينة المهمة في يد الهون انذارا للرومان بما سيقع لبقية المدن الرومانية علي الجبهة . لقد سويت المدينة بالارض ووقع جميع سكانها في الأسر . وعندما زارها بروكوبيوس Procopius بعد ذلك بمائة عام ذكر ان المدينة قد هدمت من اساسها ، وظلت علي هيئتها المتهدمة حتى اعاد بناءها الامبراطور جستنيان . كذلك سقطت مدينة سينجيدونم Singidunam " بلجراد الحالية " وتم تخريبها ايضا وتركت مهجورة حتي عصر جستنيان . اما مدينة مارجوس Margus فسقطت بالخيانة بعد ان

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 79 - 80, Bury, op. cit, Vol, I, pp. 273 - 274; Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 362.

سلمها اسقفها طواعية للهون كى يضمن السلامة لنفسه . وكانت المأساة الكبري في سقوط مدينة سرميوم Sirmium وأسر سكانها ، فهي نقطة الارتكاز ، أو محور الدفاع عن كل جبهة الدانوب ، وبذلك اصبحت ولايات البلقان تحت رحمة الهوان (١) .

وتوقفت العمليات العسكرية في عام ٤٤٢م ضد الفرس والوندال ، وعادت القوات الرومانية الى جبهة الدانوب ، كما استدعي الامبراطور ثيودوسيوس الثاني الاسطول من صقلية ، ولكن الوقت كان متأخرا لاشتراك هذه القوات في القتال ضد الهون . وزاد الأمر سوءا نجاح مؤامرة اغتيال قائد الجيش في تراقيا التي كانت بمثابة قاعدة للعمليات العسكرية الهجومية ضد الهوان . وفي خلال تلك الفتنة لم تكن هناك امكانية حشد قوات رومانية كافية للدفاع عن حدود الدولة ومقاومة الغزو الهونى ، فاضطرت الحكومة الرومانية الشرقية الي الدخول في مفاوضات صلح مع أتيلا (٢) .

ويبدو ان استكمال حشد القوات الرومانية الشرقية قد شجع ثيودوسيوس الثاني علي رفض طلبات الهون او عدم سرعة الاستجابة لها - وعندما سمع اتيلا باجابة الامبراطور انتابه الغضب الشديد وبدأ فى مهاجمة الاراضي الرومانية المقابلة له واتجه شرقا علي طول الدانوب ، وبعد ان استولي اتيلا علي عدد من الحصون الثانوية اعاد احتلال مدينة راشيار Ratiaria المكتظة بالسكان والواقعة علي الضفة اليمني للدانوب في موئيسيا العليا (وراشيارا هي مدينة ارتشر Artscher الحديثة في بلغاريا) . وتكمن

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 80 - 81; Bury, op. cit, Vol, I, pp. 273 - 275.

(2) Thompson, op. cit., pp. 81 - 83; Bury, op. cit, Vol, I, pp. 274 - 275.

(3) Thompson, op. cit., p. 83.

اهمية تلك المدينة في أنها كانت قاعدة لاسطول الدانوب من ناحية ، كما انها كانت تضم احد مصانع السلاح من ناحية ثانية ، وقد دمر الهون كعادتهم المدينة عن آخرها وحملوا سكانها اسرى (١) .

وحقق استيلاء الهون على مدينة راشيارا الامن لمؤخرتهم ، فلا تستطع القوات الرومانية في تلك الحالة مهاجمة خطوط مواصلات الهون الخلفية عند اختراقهم للاراضي الرومانية الداخلية ، كما ان استيلاء الهون علي وادي نهر مارجوس او موراڤا مكنهم من الوصول الي مدينة نيش Naissus ذات الاهمية الاستراتيجية ، وتقع في داكيا الوسطي كما انها كانت مركزا لمصانع الاسلحة في الامبراطورية وكثيفة السكان : وعندما انسحب منها الهون ظلت مهجورة حتى اعاد بناءها الامبراطور جستنيان مع باقى المدن الآخري . واتجه الهون بعد ذلك جنوبا بغرب على نهر نيشافا Nischava ودمروا مدينة اخري كبيرة هي ساردیكا Sardica أو صوفيا " في العصر الحديث " وقد اخليت هذه المدينة من سكانها ، واصبح الطريق بذلك مفتوحا الي القسطنطينية . وقد اندفع الهون على الطرق العسكرية بمحازاة نهر هيبروس Hebrus او مارتيزا Martiza وعندما سقطت مدينة فيلوبوليس Philippolis في يد الهون أصبح الدفاع عن الولايات الاوربية صعبا وربما مستحيلا لانه عند هذه المدينة العتيقة فان الطريق من الشمال الى الجنوب اى من الـ Oescus علي الدانوب الي بحر ايجه يمر بالطريق القديم من البسفور الى الغرب . وقد تمكنت مدينتا هرقلة وادرنة من صد هجمات الهون الا ان مدينة اركاديوليس Arcadiopolis قد احتلها الهون واستولوا منها على غنائم واسلاب هائلة كما كان الاسرى فوق الحصر (١) .

---

(1) Thompson, op. cit., p. 84.

وأخيرا واجه الهون الجيش الجديد الذى اعده ثيودوسيوس الثاني وكان يقوده اسبار Aspar وهو من الالان ومعه القائدان الجرمانيان اريوبندوس Areobindus وارنجسكولاس Arnegisclus ، وكان هؤلاء الثلاثة فى طليعة الجنرالات الجرمان الذين يعملون في خدمة الامبراطورية ولكنهم لم يكونوا اندادا لأتيلا في الحرب . وخاصة الثلاثة معارك متتالية خارج العاصمة لكنهم هزموا فيها جميعا شر هزيمة وتمكن الهون من قطع الطريق بينهم وبين العاصمة فاضطر الجيش الروماني الي التقهقر الى خيرسونا " خرشنه " Chersonesas فوصل الهون بذلك الي قرب اسوار العاصمة واستولوا علي حصن اثيراس Athyras غير ان اسطول الهون الضعيف التسليح لم يسمح بمهاجمة باقي حصون القسنطينية كما لم يقم الهون بأى محاولة للهجوم علي العاصمة ذاتها واتجه أتيلا بدلا من ذلك الي خيرسونا حيث هاجم بقايا الجيش الروماني ومزقه في معركة فاصلة . ولم تحقق الامبراطورية من انتصارات سوى في مدينة ازيموس الحصينة ، ولايرجع ذلك الانتصار الي الجيش النظامي بل الى السكان المحليين الذين هاجموا قوات الهون المثقلة بالاسلاب والغنائم (١) .

ولم يكن امام ثيودوسيوس الثاني بعد هزيمة خيرسونا من خيار سوى طلب عقد الهدنة ، وانيطت المفاوضات الى اناتوليوس Anatolius الذي كان قد نجح لتوه في انهاء الحرب مع الفرس ، واصبح قائدا للجيش منذ سنة ٤٣٨م ، وكانت الشروط التى فرضها أتيلا قاسية ، لقد طلب تسليم اللاجئين الهون فورا ، والمتأخرات من الجزية وقدرها ستة آلاف ليبرا ذهبية اما مبلغ الجزية نفسه فقد زاد الى خمسة اضعاف ماكان عليه أى اصبح ٢١٠٠ (الفان ومائة

---

(1) Bury, op. cit, Vol. I, p. 275, Thompson, op. cit., pp. 84 - 85.

ليبرا ذهبية) كل عام وان تدفع الحكومة الرومانية عن كل اسير روماني تمكن من الهرب مبلغ ١٢ سوليدا مقابل ثمانية سوليدا Solida في اتفاقية عام ٤٣٥م ، وألا يستقبل الرومان بعد ذلك اى لاجىء هونى (١) .

وذهب سكوتا Scotta احد مساعدى أتيلا الي القسطنطينية لاستلام الذهب المتفق عليه وكذلك استلام اللاجئين الهون ، ولكنه فوجىء بأن الرومان قد قتلوا كل الاسرى الهون الذين ابدوا عدم الرغبة في العودة شمالا عبر الدانوب ، واراد القائد الهونى ان ينتقم من الرومان الشرقيين ، فاعلن ان لديه تفويضا باضافة شرط جديد للاتفاقية وهو ان كل رجال ازيموس Asemus يجب ان يسلموا جميعا للهون سواء كان هؤلاء من البرابرة او الرومان ، والا فان الجيش الهونى لن ينسحب كما ان الاتفاقية لن يتم التصديق عليها . ورأى اناتوليوس ومساعده في المفاوضات ثيودولوس Theodulus قائد الجيش فى تراقيا ان الوفد الرومانى في وضع حرج لايسمح برفض طلبات الهون ، ولم يحاول القائدان الرومانيات اغراء سكوتا بالتخلى عن ذلك الشرط الجديد بل تركزت جهودهما فى جعل أتيلا يتخلى عن رغبته الملحة فى مواصلة الحرب(٢) .

وكتب القائدان الرومانيان الى مواطنى ازيموس وخيروهم بين تسليم الاسرى الرومان الذين انقذوهم أو ان يدفعوا ١٢ سوليدا Solida عن كل رجل وطلب القائدان ايضا اطلاق سراح الهون الذين تم أسرهم . وقد أجاب سكان

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 85 - 86; Camb, Med. Hist., Vol. I, pp. 362 - 363, Jones, op. cit, p. 80.

وفى بيورى يدفع الأسير الرومانى عشرة سوليدا انظر :

Bury, op. cit, Vol. I, p. 275.

(2) Thompson, op. cit., pp. 83 - 86.

المدينة بأن كل الرومان قد عادوا الى منازلهم ولايمكن استدعاؤهم أو جمعهم أما الأسرى الهون فقد تم قتلهم جميعا باستثناء شخصين فقط قد تم الاتفاق عليهما على أساس مبادلتهما ببعض الأطفال الذين أسرهم الهون خارج اسوار المدينة . وعندما سمع أتيلا ذلك بحث عن هؤلاء الاطفال المطلوبين ولكنه لم يعثر على أحد منهم وقد وافق الرومان علي تأكيدات أتيلا بفقدهم ، وأعاد الرومان الاسيرين الهونين المتحفظ عليهما وهكذا تم التوقيع والتصديق علي معاهدة السلام بين الهون والرومان فى خريف سنة ٤٤٣م ، وعرفت باسم اتفاقية اناتوليوس الاولى (١) .

ولم تطمئن حكومة الامبراطورية الشرقية الي نوايا اتيلا رغم توقيع اتفاقية السلام معه . وعلي الرغم من المصاعب الكبيرة التي واجهت الامبراطورية الشرقية علي جبهتي ارمينيا وفارس ، فقد بذلت الامبراطورية الشرقية ماوسعها من جهد لاصلاح وتقوية جبهة الدانوب في الشمال . وقد صدرت الاوامر الحازمة الي نوموس رئيس البلاط وهو اكثر الوزراء ثقة لدى الامبراطور ثيودوسيوس الثانى بأن يعيد بناء وتقوية الحصون التى سبق ان هاجمها الهون علي طول الدانوب سنة ٤٤١م ، وان يحشد في تلك المنطقة كل الفرق العسكرية المتاحة وان توضع تلك الفرق في حالة الاستعداد القصوي . وقد شملت تلك الاجراءات ايضا اعادة بناء وتقوية أسوار القسطنطينية . ومما يدل على نجاح نوموس في مهمته ترقيته الى وظيفة قنصل عام ٤٤٥م . وفي خلال تلك الفترة استقبلت القسطنطينية العديد من سفراء أتيلا الذين تم أغدق الهدايا الثمينة عليهم وارسال اخري الى أتيلا . وهكذا تمتعت ولايات الليريا وتراقيا بفترة راحة من الغزو الهونى لمدة ثلاث سنوات بعد

(1) Thompson, op. cit., p. 86.

توقيع اتفاقية السلام الأولى (١) .

واستغل اتيلا فترة استقرار السلام على جبهة الدانوب كى يعيد ترتيب الاوضاع السياسية داخل مملكته لتقوية نفوذه والانفراد بالحكم . وقد تمكن اتيلا بالفعل من قتل بليدا ، وبذلك اصبح اتيلا السيد المطاع الوحيد فى كل بلاد الهون دون منافس حتى وفاته ، بل اصبح اتيلا بالفعل اقوى رجل في اوربا ، واعتبر نفسه سيدا على الامبراطورية الشرقية لان امبراطورها يدفع الجزية له . ولكى يؤكد اتيلا سيادته على كل الهون ادعى حصوله على سيف مارس اله الحرب الذى سيمكنه من الانتصار على كل الاعداء . واصبح تحدي اتيلا يعني في نظر الهون تحدى القدرة المقدسة لاله الحرب (٢) .

واذا كانت اراضي الامبراطورية الشرقية قد نجت خلال السنوات من ٤٤٣م الى سنة ٤٤٦م من هجمات الهون ، فانها قد تعرضت لكوارث أخرى طبيعية ترتب عليها وفاة الالآف من الرجال وقطعان الماشية نتيجة لنزول صقيع شديد ، كما ان العواصف المطرة دمرت ولاية بيثينيا وغرقت المدن الداخلية بسبب فيضان الانهار . وفى سنة ٤٤٥م حدثت مشاغبات فى السيرك المعروف في القسطنطينية سقط فيها عدد كبير من الضحايا . وتلى ذلك انتشار الطاعون الذى مات بسببه عدد كبير من المواطنين ، وظلت تلك الاوضاع السائدة حتي سنة ٤٤٦م ، وقلت الامدادات التموينية للعاصمة ، ثم تكرر الطاعون مرة اخرى ، فاصيبت الحكومة الرومانية الشرقية باضطراب وانزعاج شديدين وباتت عاجزة عن تصريف الامور ، وانعكس ذلك علي جبهة

(1) Thompson, op. cit., pp. 87 - 88, Bury, op. cit, Vol. I, p. 276; Vasiliev, History of the Byzyantine Empire, Vol. I, p. 103, "Madison 1958".,

(2) Bury, op. cit, Vol. I, pp. 275 - 277; Thompson, op. cit., p. 89; Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 364.

القتال الشمالية المواجهة للهون على نهر الدانوب (١) .

واستغل اتيلا من جانبه الظروف البيئة التى تمر بها الامبراورية الرومانية الشرقية ، واخذ يكرر مطالبه السابقة ، ويمهد لعبور الدانوب فى ربيع سنة ٤٤٧م . وكان هجوم الهون في هذه السنة اوسع نطاقا مما حدث سنة ٤٤١م ، واشترك فيه مع الهون كثير من الشعوب الخاضعة لهم ، فالجيبداى Gepids اشتركوا بقيادة ملكهم ارداريك Ardaric والقوط الشرقيون بقيادة فالامير Valamir واخترق هجوم الهون ولايات سكيتيا السفلي ومئيسيا ومناطق اخري ابعد الي الشرق فتجاوز بذلك الحصون الجديدة التى بناها نوموس ، والواقع ان هجوم سنة ٤٤٧م كان الفرصة الوحيدة التى اتيح فيها للهون مواجهة الجيش الرومانى باكمله (٢) .

وعندما بدأت قوات الهون في التحرك صوب الاراضى الرومانية الشرقية وقعت كوارث ضخمة في الامبراطورية ، فقد ضربت سلسلة من الهزات الارضية المدن الرومانية خلال فترة اربعة اشهر من فبراير سنة ٤٤٧م . وكانت تلك الهزات من أسوأ ماواجه الرومان طيلة تاريخهم ، فاختفت قرى باكملها ، وكانت الخسائر ضخمة فى البر والبحر وعانت تراقيا والهللبونت والكبكلاديس اكثر من غيرها ومما زاد الحالة سوءا هطول امطار كثيرة بعد بداية الهزة الاولى بثلاثة او اربعة ايام ، فغرقت اماكن كثيرة ، وسقطت مباني عديدة في القسطنطينية واسوار وحوائط وابراج لايقل عددها عن سبعة وخمسين ، ودفن عدد كبير من السكان تحت الانقاض وتلى ذلك انتشار الطاعون فمات به عدة الاف من السكان . وقد اوشكت القسطنطينية في تلك

---

(1) Thompson, op. cit., p. 90.

(2) Thompson, op. cit. pp. 90 - 91, Bury, op. cit, Vol. I, p. 275.

الظروف علي السقوط عند اول هجوم لولا قيام الوالى فلافيوس قسطنطيوس ورجال القسطنطينة بمواجهة الموقف بجدية حتى تم اعادة بناء الاسوار وزيادة سمكها وترميم الحصون المتهدمة ، كما عهد بالدفاع عن العاصمة الى القائد فلافيوس زينون (١) .

وتقدمت القوات الرومانية من مدينة مرقية او مرقيا نوبل Marciamople يقودهم القائد الجرماني ارنجسكولوس . وعلى الرغم من الشجاعة الكبيرة التى ابداها ذلك القائد الا انه سقط قتيلا في المعركة بعد ان كبا به جواده علي شاطىء نهر اوتوس Utus . وقد سقطت مدينة مرقية في يد العدو وظلت مهجورة قرابة مائة عام حتى جددها الامبراطور جستنيان ولم يتمكن الهون من اقتحام القسطنطينية بعد ان اعيد بناء اسوارها ، لكن الهون دمروا ولايات البلقان لاسيما الليريا وتراقيا ، وولايات داكيا ومونيسيا وسكيثيا ، ثم اندفع الهون جنوبا في بلاد اليونان حتى ثيرموبلاى Thermopylae . ويقال بأن مابين سبعين ومائة مدينة احتلها الهون في ذلك الهجوم ، وتم ذبح الرهبان الذين لم يتمكنوا من الفرار ، وقد تكبد الهون ايضا خائر فادحة . وقد كان ذلك الهجوم هو آخر انتصارات اتيلا علي الرومان الشرقيين (٢) . والامر الملاحظ هنا ان الغرب الاوربي لم يتحرك ولم يقدم اى مساعدة للامبراطورية الشرقية بسبب العلاقات الودية التى كانت بين اتيلا وايتيوس قائد عام قوات الامبراطورية الغربية في تلك الفترة .

لقد وصلت الامبراطورية الرومانية الشرقية عند نهاية عام ٤٤٧م الى

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 91 - 92, Bury, op. cit, Vol. I, p. 27o. يراجـــع :

(2) Thompson, op. cit., pp. 92 - 93; Bury, op. cit, Vol. I, p. 275, Camb. Hist. Vol. I, p. 363.

حالة من الضعف حتي اصبحت غير قادرة علي المواجهة العسكرة مع اتيلا ، وبالتالى كان عليها الاعتماد علي الدبلوماسية فى الدرجة الاولى خلال السنوات الثلاث التالية ، أما اتيلا فلم تتغير نواياه التوسعية في اوربا الشرقية ، فأمة الهون لا يمكن ان تعيش فى سلام لفترة طويلة لان ذلك ضد طبيعتهم التي جبلت علي الحرب والسلب والنهب . وفكر الامبراطور ثيودوسيوس الثاني في التحالف مع بعض فصائل الهون المعرضة لحكم اتيلا مثل قبائل الاكاتزيري Acatziri التي رغم معارضتها لحكم اتيلا كانت في حالة هدوء نسبي . ومن سوء حظ الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ان فشلت سفارته لهذا الغرض بل جاءت بعكس ما كان يهدف اليه ، وطلب احد زعماء الكاتزيرى تدخل اتيلا ضد باقي القبائل ، وانتهى الامر باخضاع كل الكاتزيري لسيادة اتيلا (١) .

وعادت المفاوضات من جديد بين الحكومة الرومانية الشرقية والهون عام ٤٤٨م وكان المفاوض الرئيسى في الجانب الروماني هو اناتوليوس Anatolius الذي نجح من قبل في عقد اتفاقية عام ٤٤٣م . وتشير معظم شروط الاتفاقية الجديدة الي انها كانت اكثر قسوة من تلك التى وقعت عام ٤٤٣م ، لقد اصر اتيلا علي اخلاء مساحة كبيرة من البلاد الواقعة جنوب الدانوب من سكانها الرومان . وتمتد تلك المساحة من مدينة سنجدونم Singgidunum علي حدود بانونيا الي مدينة نوفاى Novae اي حوالى ثلاثمائة ميل طولا بعمق

---

(١) كان الزعيم الاكاتزيري كورياكوس *Curdachus* يري نفسه في وضع اسمي واعلي من باقي الزعماء . وأخطأ السفير الروماني وجعله في المرتبة الثانية عند تقديم هدايا ثيودوسيوس ، فغضب كورياكوس وطلب تدخل اتيلا ضد من اغتصبوا سلطته .

انظر :

Thompson, op. cit., pp. 95 - 97.

حوالى مائة وعشرين ميل وبعبارة اخري فان كل داكيا Dacia واجزاء من ثلاثة ولايات اخري تكون خالية من السكان ووسائل الدفاع عنها ، وان يكون خط الدفاع عند مدينة نيش Naissus ، وبذلك لم يعد ساحل نهر الدانوب بكل حصونه ومدنه الكبرى التي اصبحت خرابا يمثل خط الحدود الشمالى للامبراطورية الشرقية ولايعرف عن الشروط الاخري للمعاهدة سوى ان الجزية لابد ان تستمر . وتم عقد هذه المعاهدة عام ٤٤٨م وعرفت باسم معاهدة أناتوليوس الثانية وقد تركزت جهود الدبلوماسية الرومانية الشرقية طيلة العامين التاليين في محاولات تخفيف شروطها (١) .

واستمر اتيلا برغم عقد الاتفاقية الاخيرة في ارباك حكومة القسطنطينية بالسفارات والشكاوي والطلبات المتعددة ، من ذلك السفارة التى وصلت الى القسطنطينية في ربيع عام ٤٤٩م برئاسة ايديكو Edeco احد نواب اتيلا وعضوية اورستيس Orestes وهو فى الاصل مواطن رومانى من باتونيا ويعمل في خدمة الزعيم الهونى . وجاء في الخطاب الذى يحمله ايديكو ان الرومان الشرقيين لم ينفذوا شروط اتفاقية اناتوليوس الثانية ، وانهم فشلوا في اخلاء المنطقة الواقعة جنوب الدانوب . وهدد اتيلا بشن الحرب من جديد . ونتيجة لتلك التهديدات وعجز الرومان الشرقيين عن مواجهة اتيلا عسكريا فقد وضع احد وزراء ثيودوسيوس الثانى الاقوياء وهو الخصى كريسافيوس Chrysaphius خطة لاغتيال اتيلا والخلاص منه عن طريق رشوة نائبه ايديكو بمبلغ خمسين الف ليبرا ذهبية وان يعود ايديكو للعيش في القسطنطينية فى احد القصور الفخمة التي اعجب بها مكافأة له فى حالة

---

(1) Thompson, op. cit. p. 98, Bury, op. cit, Vol. I, pp. 275 - 276, Camb. Med. Hist. Vol. I, P. 363.

نجاحه في تنفيذ المؤامرة (١) .

وعاد إيديكو الي سيده اتيلا ضمن سفارة رومانية علي رأسها مكسيمين Maximin ورافق السفارة المؤرخ بريسكوس Priscus ومن سوء حظ الرومان ان المؤامرة كشفها اتيلا فاستشاط غضبا وارسل خطابا الى الامبراطور ثيودوسيوس الثاني مملوءا بعبارات التهكم والتحقير ، وطلب ارسال سفارة رومانية علي مستوى عال مثل رتبة قنصل . وكانت حكومة الامبراطورية الشرقية قد شهدت صراعا علي السلطة بين الخصي كريسافيوس وبين قائد الجيش القوي زينون Zeno الذى ازداد نفوذه منذ نجاحه في الدفاع عن العاصمة سنة ٤٤٧م ، وتوليه القنصلية عام ٤٤٨م ثم اصبح قائدا عاما للجيش عام ٤٤٩م وازدادت الهوة بين الجانبين بسبب فشل خطة زواج قسطنطيوس سكرتير اتيلا من ابنة ساتورنينوس Saturninus أحد اثرياد الامبراطورية الشرقية ، فقد قام زينون باختطاف الفتاة وتزويجها لاحد اتباعه المسمى روفوس Rufus فاعتبر اتيلا ذلك عملا معاديا له ، فلما قام ثيودوسيوس بمصادرة ممتلكات روفوس اعتقد زينون ان كريسافيوس هو المحرض علي ذلك الاجراء ، هذا في الوقت الذي ازداد العداء بين الهون والامبراطورية الشرقية بسبب مؤامرة اغتيال اتيلا (٢) .

واسرعت الحكومة الرومانية الشرقية الي تحسين علاقاتها مع اتيلا ، وارسلت سفارة علي رأسها أناتوليوس وثوموس للمفاوضة واقناع اتيلا

---

(١) عن تفاصيل تلك المؤامرة انظر : -

Thompson, op. cit., pp. 98 - 121; Bury, op. cit., Vol. I, pp. 276 - 279, R. S. Hoyt & S Chodorow, Europe in the middle ages, p. 67, "Third, Jones, op. cit., p. 80, Camb. Med. Hist., Vol. I, pp. 363 - 364, 414.

(2) Thompson, op. cit., pp. 101 - 107, 121 - 122.

بضرورة الحفاظ علي معاهدة السلام . وابحرت السفارة الرومانية في ربيع عام ٤٥٠م وعبرت الدانوب الي اراضي الهون ، فاسرع اتيلا جنوبا لمقابلاتها عند نهر دريكون Dreccon وقد استطاعت السفارة ترضية اتيلا واطفاء نار غضبه بالهدايا الثمينة التي قدمت له حتى حصلت منه على وعد باحترام شروط معاهدة السلام لعام ٤٤٨م ، وألا يطالب باعادة اللاجئين الهون . وكان النجاح الكبير للسفارة في اقناع اتيلا بالانسحاب من كل الاراضى الواقعة جنوب الدانوب ، وهى الاراضى التى انسحب الرومان منها بناء علي طلب اتيلا عام ٤٤٨م . وبالاضافة الى ذلك طلب السفارة الرومانية اطلاق سراح بيجيلاس احد المتآمرين علي قتل اتيلا . وقد وعدت الحكومة الرومانية بأن سكرتير اتيلا سوف يحصل على زوجة رومانية لاتقل نبلا وثراء عن ابنة ساتورنينوس Saturninus ولتخفيف غضب اتيلا لفتت الحكومة الرومانية نظره بأنه لم تجر العادة بين الشعب الرومانى علي اكراه فتاة للزواج غير ارادتها . وقد عبر اتيلا عن سعادته بلقاء السفارة بأن اغرق اعضاءها بالهدايا الثمينة من الخيول والجلود والفراء التى يحب حكام الهون ارتداءها . كما تخلى اتيلا عن طلب اعدام كريسافيوس ، وقد رافق السفارة عند عودتها قسطنطيوس سكرتير اتيلا لتسلم عروسه ، وقد اختار له ثيودوسيوس ارملة ابن بلنثيا الذى سبق ان عقد مع الهون اتفاقية مارجوس سنة ٤٣٥م . وهكذا تم عقد معاهدة اناتوليوس الثالثة عام ٤٥٠م (١) .

والواقع ان تفاوض اتيلا غير العادي في مفاوضاته مع الرومان الشرقيين يمكن تفسيره في ضوء ماحدث فيما بعد من غزو غالة سنة ٤٥١م

(1) Thompson, op. cit., pp. 122 - 123.

وكان ابن بيجيلاس ضمن السفارة وقد حمل معه مبلغ ٥٠ ليبرا ذهبية فدية لابيه بناء علي طلب اتيلا

وايطاليا سنة ٤٥٢م ، فقد اراد ان يحمى مؤخرته عندما يكون مشتبكا فى حرب مع الغرب الاوربى وهكذا تناقض اناتوليوس ونومـوس في ظروف مناسبة تماما للرومان ، ولابد ان الحكومة الرومانية الشرقية قد ابدت سرورها عندما علمت في الشهور الاولى من سنة ٤٥٠م ات اتيلا قد قرر الهجوم علي القوط المتمركزين فى تولوز ، وانه سيفعل ذلك بصفته حليفا للحكومة الرومانية الغربية وامبراطورها فالنشيلن الثالث . وقد كان عقد الاتفاقية الثالثة مع الهون يمثل نجاحا كبيرا للدبلوماسية الرومانية الشرقية ، واصبح الرومان الشرقيوم مقتنعين بأن السلام علي جبهة الدانوب قد ساد وتاكد منذ صيف ٤٥٠م . اما اتيلا فقد ظن انه قد أمن مؤخرته بعقد سلسلة المعاهدات مع الامراطورية الشرقية حتي اوائل عام ٤٥٠م . وطالما كان الامبراطور الشرقي ثيدوسيوس الثانى علي قيد الحياة فان اتيلا لم يتوقع اى تحركات عسكرية علي جبهة الدانوب ، فقد كان الامبراطور ثيودوسيوس الثانى ضعيف الشخصية كما وقع تحت تأثير كريسافيوس وغيره ولم يكن له من الامر شيء ، وادي شعوره باليأس الي الانصراف الي حياة العزلة والتقوي والورع وتحصيل العلم . وقد لخص بريسكوس موقف الامبراطورية الرومانية الشرقية في نهاية عهد ثيودوسيوس الثانى بقوله ان الحكومة الرومانية الشرقية كانت تطيع كل تعليمات اتيلا وان اوامره لها كأوامر السيد (١) .

غير ان تطورات الاحداث داخل الامبراطورية الشرقية ادت الى خلق

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 123 - 124, 129 - 130, 188 - 189,

د. السيد الباز العريني – مرجع سابق ص ٤٥ ، د. محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ٣١ " دار المعرفة الجامعية ، سنة ١٩٩٤م " . وعن غزو غالة وايطاليا انظر : د. احمد عبد الكريم ، الصراع الدولى الغرب الاوربى في منتصف القرن الخامس الميلادى مجلة المؤرخ المصرى كلية الآداب – جامعة القاهرة – العدد الثانى عشر يناير ١٩٩٤م .

موقف جديد في العلاقات مع اتيلا ، فقد سقط الامبراطور ثيودوسيوس الثاني من علي جواده وهو في رحلة صيد بالقرب من نهر ليكوس Lycus يوم ٢١ يوليه سنة ٤٥٠م ، وكانت اصابته خطيرة ، فتوفى بعد ايام قليلة من ذلك التاريخ ، ولم يترك ثيودوسيوس الثانى ابنا يخلفه في الحكم ، كما لم يعين خلفة له في منصب الامبراطور ، وقد انتخب الناتو التربيون مارقيان وكان شخصية مجهولة تولى من قبل منصب مساعد اسبار . وهكذا تولي الامبراطور مارقيان عرش الامبراطورية الشرقية في ٢٥ اغسطس واتخذ سياسة حازمة تجاه الهون ، فرفض سداد الجزية ، واعلن استعداده للحرب وفي خلال شهور قليلة اصبح الرومان الشرقيون علي حافة الحرب مع اتيلا ، وتلاشي السلام الذى حققه ثيودوسيوس الثانى بصعوبة بالغة خلال احدي عشرة سنة (١) .

وهكذا لم تكن جبهة الدانوب عام ٤٥١م هادئة كما كان يتمنى اتيلا عندما عقد معاهدته مع اناتوليوس ونوموس في ربيع العام السابق . وبالرغم

---

(1) *Thompson, op. cit., pp. 134 - 135, Lot., op. cit, pp. 217 - 218, camb. Med. Hist. Vol. I. p. 364. Jones, the decline of the ancient world, pp. 87 - 88,*

د. محمد محمد مرسي الشيخ ، مرجع سابق ص ٢٢ ، وربما كان تعيين مارقيان ، قد تم باشارة من ثيودوسيوس الثانى اثناء مرضه انظر :

Bury, op. cit., Vol. I, pp. 235 - 236.

وكان كل من ثيودوسيوس الثانى ومارقيان ينتميان الي طبقة اجتماعية واحدة مختلفة فثيودوسيوس الثاني ينتمى الي جماعة الخضر المؤيدين من التجار والحرفيين والصناع ورجال السفن ، وعلى ذلك فان سياسته التي خطط لها كريسافيوس وكان من الخضر ايضا تهدف الي مهادنة الهون لتنشيط اتجارة بين الجانبين مما يحقق مصالح الحرفيين . اما مارقيان فكان مؤيدا من جماعة الزرق وهم الارستقراطيون كبار الملاك ، وقد قل اهتمامه بالتجارة ، وبالتالى ساءت علاقته بالهون بعد ان قلب سياسة كريسانيوس ونوموس والمؤيدين لهما . انظر :

Thompson, op. cit., pp. 190 - 192, Jones, op. cit., p. 88.

من تهديدات اتيلا فان مارقيان اصر علي موقفه الشجاع في عدم الخضوع ارسال الجزية الى الزعيم الهوني . وارسل مارقيان من قبله السفير ابوللونيوس Apollonius لابلاغ اتيلا بموقفه . وقد استاء اتيلا من ارسال ذلك السفير ، ورفض منحه شرف مقابلته ، فان الهون الذين كانوا علي وشك الهجوم علي غالة انتابهم الغضب الشديد عندما علموا ان السفير الرومانى الشرقي لم يحمل معه الجزية وانه جاء فقط للمفاوضة . فقد ارسل اتيلا رسالة شديدة اللهجة الي السفير تدعوه الي تسليم مامعه من الهدايا التى حملها باسم الامبراطور ، وهدده بالموت في حالة الرفض ، وذهبت تلك التهديدات كلها ادراج الرياح ، ولم تؤثر في صلابة موقف ابوللونيوس ، فاعلن انه سيسلم مامعه من هدايا فقط في حالة استقباله استقبالا لائقا يتناسب مع مركزه كسفير للامبراطورية الرومانية الشرقية . اما اذا قتل فان الهون سيحصلون علي مامعه من هدايا ، ولكنهم لن يحصلوا على مثلها في المستقبل . واخيرا سمح اتيلا للسفير بالرحيل دون ان يراه ، وتدهور بذلك الموقف بين الهون والرومان الشرقيون تدهورا خطيرا (١) .

ونحن ندرك الصعوبة الكبيرة التي واجهت اتيلا في تقريره أى الجبهتين يبدأ بالهجوم عليها ، واخيرا قرر اتيرا السير في مشروعه الاصلي بالهجوم علي الغرب ، لقد سبر اتيلا من قبل غور الامبراطورية الشرقية وعرف في مواقف كثيرة كيف يمتص تهديداتها ، وسلسلة مفاوضاته الطويلة معها اكسبته خبرة في تطبيع وتطويع العلاقات معها الي مصلحته ، اما في الغرب فهناك اكثر من عدو يجب مواجهته كما ينبغي تقوية نفوذ الهون في غرب اوروبا . ومهما كان الامر فقد قاد اتيلا في يواكير عام ٤٥١م جيشا كبيرا

---

(1) Thompson, op. cit., p. 143.

في اتجاه غالة مكونا من الهون والعناصر الجرمانية الخاضعة لهم . وقد لقى الجيش الهزيمة على يد الحلفاء الاوربيين في معركة موریاك Mauriac او سهول قطالونيا في ٢٠ يونيه من نفس العام . واضطر الي الانسحاب وقد كشفت تلك المعركة عن براعة أيتيوس Aetius قائد عام قوات الامبراطورية الغربية السياسية والعسكرية ، ومن ناحية اخري فقد ادت هزيمة اتيلا الي تلاشى اسطورته كغازى لايقهر ، كما حرمته من نفوذه الى غرب اوربا ، وفي نفس الوقت كان آخر انتصار يحرزه جيش يحمل شارة الامبراطورية فى اوربا الغربية (١) .

وبالرغم من هزيمة الهون في غالة والخسائر الكبيرة التي تكبدوها الا ان اتيلا لم ينس تحدي الامبراطور الشرقي مارقيان له ، فكبرياء اتيلا منعه من تقدير موقفه العسكري تقديرا صحيحا . وفي سبتمبر سنة ٤٥١م اعطي اتيلا اشارة لما سيفعله في المستقبل ، فانقضت مجموعة من الهون علي اليريا الشرقية ونهبتها . وقد منع قلق الامبراطور مارقيان علي جبهته الشمالية من عقد المجمع الديني الكبير في نيقيه Nicaea كما خطط من قبل ، فعقد الاساقفة اجتماعهم في خلقيدونيا بدلا منها . وعندئذ لم يسطع مارقيان ان يعطي اهتمامه الكامل لان هجوم الهون عبر الدانوب جعل مارقيان يقرر النزول الي ميدان القتال سبنفسه . ويبدو ان خطوات مارقيان العسكرية كان

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 140 - 143, Bury, op. cit, Vol. I, pp. 293 - 294, Jones, op. cit, p. 80, Camb. Med. Hist., Vol. I, p. 364,

تورمان فغ كانتور ، التاريخ الوسيط ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ، ص ١٦١ .

وعن معركة سهول قطالونيا بالتفصيل انظر :

د. احمد عبد الكريم سليمان : الصراع الدولي في الغرب الاوربي في منتصف القرن الخامس الميلادى – مجلة المؤرخ المصرى يناير ١٩٩٤م ، ص ٢٣٨ – ٢٤٣.

لها نتائجها الايجابية ، فاجبرت اتيلا علي تغيير وجهته والاتجاه مرة اخرى الى الغرب الاوربي . وقد قرر اتيلا غزو شمال ايطاليا ، فقد اعتقد ان الامبراطورية الغربية كانت السبب في الكارثة التي حلت به في غالة . كما لم يتذكر الجميل الذي اسداه له ايتيوس بتمكينه من الانسحاب من غالة في سهولة ويسر ، بل اعتبر انفصال الجيش القوطى عن الرومانى الغربى ميزة عسكرية تمكنه من هزيمة كل جيش علي حدة (١) .

وحشد اتيلا عام ٤٥٢م جيشا مثل الذى قاده عام ٤٥١م ، واخترق به ولايات بانونيا ، وعبر جبال الالب الي ايطاليا في بداية حملته ، ولم يكن مصير تلك الحملة الجديدة احسن حالا من الحملة السابقة علي غالة ، فانتهي مصيرها هى الاخري الي الفشل الذريع ، ولم يحقق اتيلا اهدافه في اخضاع ايطاليا لسلطانه وكانت هناك عوامل عديدة وراء فشل تلك الحملة ، منها انتشار الطاعون والمجاعة في ايطاليا ، كما ان الامبراطور الشرقي مارقيان اراد الانتقام لاهانة سفيره من اتيلا في العام السابق فعبرت القوات الرومانية الشرقية الدانوب والحقت الهزيمة بؤخرة الهون ، ووجد اتيلا نفسه امام ضغوط عسكرية وكوارث طبيعية فانسحب من ايطاليا (٢) .

ولم ينس اتيلا موقف مارقيان المعادي له منذ اعتلائه العرش ، فاعلن اتيلا بعد انسحابه من ايطاليا ان الوقت قد حان لتأديب خصمه ، ولاشك ان فشل اتيلا في غالة وايطاليا قد دفعه للانتقام من الامبراطورية الشرقية كى يحقق نصرا يزهو به ويزيل عار الهزيمتين . وجاءت خطوة اتيلا الاولي ضد

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 143 - 144.

(2) Thompson, op. cit., pp. 147 - 148, Bury, op. cit, Vol. I., pp. 294 - 296, Camb. Med. Hist., Vol. I, pp. 364 - 365.

مارقيان بأن زحف الي هنغاريا . ومن موقعه الجديد ارسل رسالة الى الامبراطور الشرقي يقول فيها بأنه مالم يسدد الجزية المتفق عليها مع ثيودوسيوس الثاني فانه اى اتيلا سيعلن الحرب ضد الامبراطورية الشرقية ويوقع كل سكانها في العبودية ، غير ان القدر لم يمهل اتيلا لتحقيق انذاره ، فقبل الهجوم الكبير قرر اتيلا ان يضيف زوجة جديدة له . وبعد افراطه في السكر وجده رجاله صباح اليوم التالى لزواجه ميتا دون ان يكون مصابا بجروح . وبذلك انقذت الامبراطورية الشرقية من خطر اتيلا . وتلي ذلك ثورة الشعوب الخاضعة للهون واوقعت الهزيمة بأبناء اتيلا وفشلت محاولة للمفاوضة بين الهون والرومان الشرقيين سنة ٤٦٨م – ٤٦٩م في القسطنطينية ، كما الحقت القوات الرومانية الشرقية الهزيمة بالهون ، وسرعان ماتفككت امبراطورية اتيلا ، ولم يعد الهون يمثلون خطرا علي الشرق او الغرب (١) .

---

(1) Thompson, op. cit., pp. 149 - 157, Bury, op. cit, Vol. I., pp. 296, ostrogorsky, History, of the Byzatine state, Reprinted 1986", p. 17; Jones, op. cit., p. 80.

المصادر والمراجع

أولا : المراجع الاجنبية :

1- Bury, J. B.,

History of the later Roman Empire from the death of Theodosius I to death of Justinian, New York 1958 2 vols.

2- Cambridge Medieval History vol. I.

3- R. S. Hoyt and S. Chodorow,

Europe in the middle ages, Third edition 1076, New York.

4- A. H. M., Jones,

The decline of the ancient world, London I 1978.

5- F. lot.,

The end of the ancient world and the beginnings of the middle ages, London 1968.

6- Norman F. Cantor,

The Medieval world 300 - 1300 second edition, 1968.

7- G. Ostrogorsty,

History of the Byzantine State, Translated from German by J. Hussey, Great Britain, 1986.

8- E. A. Thompson,

A History of Attila and the Huns, Oxford 1943, Reprinted 1975, Green wood press.

9- A. A. Vasiliev,

History of the Byzantine Empire, Vol. I, Madison 1958.

ثانيا : المراجع العربية والمترجمة :

١ – احمد عبد الكريم سليمان :

معركة ادرنة بين القوط والرومان في ضوء وثائق المؤرخ العسكري اميانوس مارسللينوس – دار النهضة العربية ١٩٩٠م .

٢ – الصراع الدولى في الغرب الاوربى في منتصف القرن الخامس الميلادى – مجلة المؤرخ المصري عدد يناير ١٩٩٤م – كلية الآداب – جامعة القاهرة .

٣ – د. اسحاق عبيد :

الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، الطبعة الاولي ١٩٧٢م ، دار المعارف بمصر .

٤ – د. سعيد عبد الفتاح عاشور :

اوربا العصور الوسطى الجزء الأول ، الطبعة التاسعة ١٩٨٣م .

٥ – د. السيد الباز العرينى :

الدولة البيزنطية – دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ .

٦ – كانتور نورمان :

التاريخ الوسيط قصة حضارة : البداية والنهاية ، ترجمة وتعليق د. قاسم عبده قاسم – الطبعة الثانية – دار المعارف .

٧ – د. محمد محمد مرسي الشيخ :

تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٤م .

٨ – م . هس :

العالم البيزينطي ، ترجمة وتعليق د. رأفت عبد الحميد ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤م .